إرشاد القارئ والسّامع لمفهوم الصَّدَقة الواسِع

2021-09-10

الحمد لله الذي أمرنا في كتابه بالصدقة، ودعانا إليها، وحثّنا على فعلها، فقال في محكم التنزيل في سورة البقرة:((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)). فسبحانه من إله رفع مقام المتصدّقين والمتصدّقات. وأدخلهم من العناية حصنا حصينا. وأدام لهم البركات. وأورثهم توكّلا زائدا عليه ويقينا. وتأذّن بالخلف والمزيد للمنفقين. وبمضاعفة برّه للمحسنين. إذ قال في سورة سبأ وهو أصدق القائلين:((وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)). وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه. البَرّ الجواد الكريم، القابض الباسط الرحمن الرحيم، أمر بالإنفاق في سبيله. ووعد على ذلك خيراً كثيراً. فقال تعالى في سورة البقرة:((مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)). وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله.

نَبِيٌّ عَلَى كُلِّ النَّبِيِّينَ فُضِّلاَ * حَيِيٌّ بَهِيٌّ طَيِّبٌ مُتَأَرِّجٌ

جَلِيلٌ عَظِيمُ الْخُلْقِ بِالْعَفْوِ آخِذٌ * لَهُ الْحِلْمُ شَأْنٌ وَالسَّمَاحَةُ مَنْهَجُ
جَوَادٌ إِذَا أَعْطَاكَ أَغْنَاكَ جُودُهُ * بِحَارُ النَّدَى مِنْ كَفِّهِ تَتَمَوَّجُ
جَزِيلُ الْعَطَايَا لاَ يَخَافُ افْتِقَارَهُ * إِلَيْهِ كُنُوزُ الأَرْضِ لَوْ شَاءَ تَخْرُجُ
جَوَادٌ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدَيْنِ جُودُهُ * إِلَى جُودِهِ تُحْدَى الْمَطَايَا وَتُزْعَجُ
جَعَلْنَا إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ احْتِيَاجَنَا * وَنَحْنُ إِلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ أَحْوَجُ
شَفِيعُ الْوَرَى لَمْ يَخْلُقِ اللهُ شِبْهَهُ * وَمَنْ ذَا لَهُ عَنْ جَاهِ أَحْمَدَ مَخْرَجُ

مُحَمَّدٌ الْمُخْتَارُ جَلَّتْ سُعُودُهُ * وَأَرْجُوهُ فِي الدَّارَيْنِ هَمِّي يُفَرِّجُ
جَزَى اللهُ عَنَّا أَحْمَدَ خَيْرَ مَا جَزَى * فَمُذْ جَاءَنَا بِالْحَقِّ فَالْحَقُّ أَبْلَجُ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الجامع لأشتات المحاسن ومكارم الأخلاق. وعلى آله المنتخَبين من أطيب العناصر ونفائس الأعراق. وصحابته الذين كانوا في المسارعة إلى الخيرات من السُّبّاق، فكانوا يُنفقون ممّا يحبّون، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ توكّلا على الملك الرزّاق. صلاة تنفّس بها عنّا الخناق. وتفتح لنا بها الأغلاق. وتدرّ بها علينا سحائب الأرزاق. وتكفينا بها نكبات الدهر وشرّ الإملاق. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ الإسلام دين البذل والعطاء، أمر بالصدقة وجعلها من أجلّ الطاعات وأعظم القربات، ووعد المتصدِّقين بالأجر العظيم، حيث يقول عزّ وجلّ في سورة الحديد:((آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ))، وفي صحيح البخاري عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ)). أيّها المسلمون. وبداية ما أحوجنا إلى أن يكون حديثُنا عن المفهوم الأوسع للصدقة, وخاصّة في زمن الأمراض والأوبئة مثل ((كورونا)), تلكم الفيروس البسيط الذي أرعب كل شعوب الأرض, وغيّر معالم الحياة في الدُّوَل كلِّها, وبيَّن أنّ الصِّحة نعمة من أعظم نِعَم الله عزّ وجلّ, التي تستوجب الشكر الدائم, وطلب المعافاة الدائمة، والصحة تاج على رؤوس الأصحّاء لا يَعرف قدرها ولا حقيقتها إلا المرضى، هذا الفيروس بيَّن أنّ المال لا قيمة له ما لم يُستغلّ في طاعة الله, فكم من صاحب مال يملك من الدنيا الكثير والكثير ورحل مع فيروس كورونا، صحيح مَن لم يمت بكورونا مات بغيرها. تعدّدت الأسباب والموت واحد,

لكن علينا أن نأخذ العِبرة والعِظة, وأن نُدرك أنّ الصحة نعمة عظيمة تتطلّب منّا شكرها بشتّى السُّبُل، والتي تُعَدّ الصدقة من أهمّها، حيث يقول نبيّنا صلى الله عليه وسلم:((دَاوُوا مَرضاكُمْ بِالصَّدقةِ)). وأن نَعلم أنّ الدنيا إلى زوال, وأنّ ما ينفع الإنسان هو عملُه الصالح، ومِن أنفع الأعمال التي تَنفع صاحبَها حيًّا وميّتًا هي الصدقة, فالصدقة شعار المتّقين، ولواء الصالحين المصلحين, ولا يُغني ذلك كلُّه عن الأخذ بأسباب التداوي, واللِّقاح, والْتزام سائر الإجراءات الإحترازية والوقائية, وإجراءات التباعد الإجتماعي، وارتداء الكمّامة فِعلا لا شكلا، أخذًا بأقصى الأسباب مع حُسن التوكّل على الله عزّ وجلّ, والضراعة إليه برفْع الكرب والبلاء عن البلاد والعباد. أيّها المسلمون. والصدقة بابٌ من أبواب الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، وسبيلٌ إلى الفوز برضوان الله جل وعلا في الدنيا والآخرة، والصدقة تطهيرٌ وتزكيةٌ للنفوس، والصدقة من أعظم شعائر الدين، وأكبر براهين الإيمان، ففي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:((والصدقة برهان)), أيْ دليلٌ قاطع وبُرهانٌ حاسِم على إيمان صاحبها ودينه ومحبّته لله تعالى، والصدقة تدفع بفضل الله النِّقَم والمكاره والأسقام والأوبئة التي انتشرت في زمننا. قال تعالى في سورة التوبة:((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)), ولو نظرنا إلى القرآن الكريم وتأمّلنا ما فيه لوجدنا أنّ الله تبارك وتعالى نادى على أهل الإيمان بنداء الكرامة في القرآن, فقال في سورة البقرة:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)), بل إسمعوا إلى هذه الآية التي لو ذَكرناها في فضل الصدقة لكفت, قال ربنا في سورة المنافقون:((وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)), والصدقة في سبيل الله صفة من صفات المتّقين, قال

ربنا في سورة أل عمران:((سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)), بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم الغِنى مع الإنفاق بمنزلة القرآن مع القيام به، ففي الحديث المتَّفَق عليه, عن عبْدِ اللَّه بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:((لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ, رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ, وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)), أيّها المسلمون. ومفهوم الصدقة في الشريعة الإسلامية واسع ومتنوِّع، فيشمل الصدقة بالمال وبغيره، وفي الحديث المتَّفق عليه عن أَبي موسى رضي الله عنه, عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ, قَالَ: أرأيتَ إنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ, قَالَ: أرأيتَ إن لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ, قَالَ: أرأيتَ إنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، قَالَ: يَأمُرُ بِالمَعْرُوفِ أوِ الخَيْرِ, قَالَ: أرَأيْتَ إنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ))، وفي صحيح الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّرضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)). فمن لم يتيسَّر له الصدقة بالمال فقد فتح له الإسلام آفاق أوسع للصدقة من الذكر، والتسبيح، والتحميد، وسائر أبواب عمل الخير، فالخير يدفع الشر والبلاء. أيّها المسلمون. ولقد شرع الله عزّ وجلّ الصدقة لغايات نبيلة، وحِكَم جليلة، تَتحقَّق بها المصالح، وتتآلَف بها القلوب، وتُقضى بها الحوائج، ويُستعان بها على النوائب، وهي صورة من صُوَر الأمن والأمان للفرد والمجتمع، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما, أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ:((المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ، ومَن

كانَ في حَاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُبَاتِ يَومِ القِيَامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ))، كما أنّنا نؤكِّد أنّ دفْع المرض وعلاج الفقراء مِن أَوْلى الأَوْلَوِيّات في الصدقات، خاصة في أيام النوازل، وهو أهمّ من دَفْع الجوع، بل إنّ ذلك يُعدّ من مصارف الزكاة الواجبة، فهذا سيّدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه لمّا قدم اليمن قال لأهلها: إئتوني بعَرْض ثيابٍ آخُذه منكم مكان الذُّرة والشعير، فإنه أَهْون عليكم، وخير للمهاجرين بالمدينة، وكان سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ العروض في الصدقة من الدراهم؛ وذلك لأنّ المقصود دَفْع الحاجة، والمعاونة فيما ينفع الناس. فما أحوجنا إلى فَهْم مقاصد الشريعة التي جاءت لإسعاد البشرية، ورَفْع الحرج، وبَثّ رُوح التكافل، والتعاون على كل ما فيه مصلحة البلاد والعباد، فيتحمّل كل إنسان مسؤوليته الدينية والوطنية، فيُعطي ممّا عنده من عِلم، أو مال، أو نُصْح؛ بما يُسْهِم في دَفْع الفقر، والقضاء على الوباء؛ إرضاءً لله رب العالمين، وخِدمة للدين والوطن، حيث يقول سبحانه في سورة البقرة:((الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)). اللهم فقّهنا في ديننا، وعلّمنا من العلم ما ينفعنا، وأعنَّا على العمل بما علّمتنا، وارزقنا في قلوبنا خشيتك، واجعلنا من أهل مراقبتك في الليل والنهار، في السرِّ والعلن. اللهم أرنا الحقَّ حقًّا وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل زاهقاً وهالكاً وارزقنا اجتنابه. اللهم وفّقنا أجمعين لعمل الخيرات، والمحافظة على الطاعات، واستباق النوافل والقربات، واجعلنا ممّن تتوفّاهم مسلمين. وتُلحقهم بالصالحين. اللهم سدِّد خطانا، ووفّقنا لسلوك طريق الخير والبر والفضيلة، الذي ارتضيته لنا بقولك:((ورضيتُ لكم الإسلام دينا)). ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين. ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منّا. واغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين. اللهُّم لا تجعل الدُنيا أكبر همّنا ولا مَبلغ عِلمنا. اللهمَّ اجعَلنا من المحسنين لعبادك، المُخلصين لوجهك،

اللهمَّ اجعَلنا من مفاتيح الخير، ومغاليق الشر، يا كريم يا رحمن. اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق. لا يهدي لأحسنها إلا أنت. واصرف عنّا سيّئها. لا يصرف عنّا سيئها إلا أنت. اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ